

تفسير البحر المحيط

@ 278 @ المفعول ، كانت الباء زائدة في موضع لا تطرد زيادتها . وقرأ الجمهور : علام بالرفع ، فالظاهر أنه خبر ثان ، وهو ظاهر قول الزجاج ، قال : هو رفع ، لأن تأويل قل رب علام الغيوب . وقال الزمخشري : رفع محمول على محل إن واسمها ، أو على المستكن في يقذف ، أو هو خبر مبتدأ محذوف . انتهى . أمّا الحمل على محل إن واسمها فهو غير مذهب سيبويه ، وليس بصحيح عند أصحابنا على ما قررناه في كتب النحو . وأمّا قوله على المستكن في يقذف ، فلم يبين وجه حمله ، وكأنه يريد أنه بدل من ضمير يقذف . وقال الكسائي : هو نعت لذلك الضمير ، لأنه مذهبه جواز نعت المضمرة الغائب . وقرأ عيسى ، وابن أبي إسحاق ، وزيد بن علي ، وابن أبي عبله ، وأبو حيوة ، وحرب عن طلحة : علام بالنصب ؛ فقال الزمخشري : صفة لربي . وقال أبو الفضل الرازي ، وابن عطية : بدل . وقال الحوفي : بدل أو صفة ؛ وقيل : نصب على المدح . وقرء : الغيوب بالجر ، أمّا الضم فجمع غيب ، وأمّا الكسر فكذلك استثقلوا ضمتين والواو فكسر ، والتناسب الكسر مع الياء والضممة التي على الياء مع الواو ؛ وأمّا الفتح فمفعول للمبالغة ، كالصبور ، وهو الشيء الذي غاب وخفي جداً . . . ولما ذكر تعالى أنه يقذف بالحق بصيغة المضارع ، أخبر أن الحق قد جاء ، وهو القرآن والوحي ، وبطل ما سواه من الأديان ، فلم يبق لغير الإسلام ثبات ، لا في بدء ولا في عاقبة ، فلا يخاف على الإسلام ما يبطله ، كما قال : { لَا يَأْتِيهِ الدَّيَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَلَا مِنْ خَلْفِهِمْ } . وقال قتادة : الباطل : الشيطان ، لا يخلق شيئاً ولا يبعثه . وقال الضحاك : الأصنام لا تفعل ذلك . وقال أبو سليمان : لا يبتدرء الصنم من عنده كلاماً فيجاب ، ولا يرد ما جاء من الحق بحجة . وقيل : الباطل : الذي يضاد الحق ، فالمعنى : ذهب الباطل بمجيء الحق ، فلم يبق منه بقية ، وذلك أن الجائي إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة ، فصار قولهم : لا يبدي ولا يعيد ، مثلاً في الهلاك ، ومنه قول الشاعر : % (أفقر من أهيله عبيد % . فاليوم لا يبدي ولا يعيد . %) .

والظاهر أن ما نفى ، وقيل : استفهام ومآله إلى النفي ، كأنه قال : أي شيء يبدء الباطل ، أي إبليس ، ويعيده ، قاله الزجاج وفرقة معه . وعن الحسن : لا يبدئ ، أي إبليس ، لأهله خيراً ، ولا يعيده : أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة . وقيل : الشيطان : الباطل ،

لأنه صاحب الباطل ، لأنه هالك ، كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك . وقيل : الحق :
السيف . عن ابن مسعود : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم) مكة ، وحول الكعبة ثلاثمائة
وستون صنماً ، فجعل يطعنها بعود نبقة ويقول : ({ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ
إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا } ، { جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِرُ الْبَاطِلُ وَمَا
يُغَيِّدُ }) . .

وقرأ الجمهور : { قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ } ، بفتح اللام ، { فَإِنْ رَّسَمًا أَضَلُّ } ، بكسر
الضاد . وقرأ الحسن ، وابن وثاب ، وعبد الرحمن المقرئ : بكسر اللام وفتح الضاد ، وهي
لغة تميم ، وكسر عبد الرحمن همزة أضل . وقال الزمخشري : لغتان نحو : ضللت أضل ، وظللت
أطل . { وَإِنْ اهْتَدَيْتُمْ فَيَدِيمًا يُوْحِي إِلَيَّ رَبِّي } ، وأن تكون مصدرية ، أي
فبوحى ربي . والتقابل اللفظي : وإن اهتديت فإنما أهتدي لها ، كما قال : { وَمَنْ
أَسَاءَ فَعَلَايَهَا } ، مقابل : { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ } ، { وَمَنْ
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ } ، مقابل : { اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ } ،
أو يقال : فإنما أضل بنفسي . وأما في الآية فالتقابل معنوي ، لأن النفس كل ما عليها فهو
لها ، أي كل وبال عليها فهو بسببها . { وَإِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ } وما لها
مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه ، وهذا حكم عام لكل مكلف . وأمر رسوله أن يسنده إلى
نفسه ، لأنه إذا دخل تحته مع جلالة محله وسر طريقته كما غيره أولى به . انتهى ، وهو من
كلام